عُنوان البحث: منهجية التأويل في النصِّ القرآنيّ

د. عبد الله امحمد علي جمعة

جامعة سبها كلية التربية براك

ملخّص البحث:

استهدفت الدراسة بيان أهمية التأويل في تفسير النصّ القرآني، وأنه المصطلح الوحيد الذي يستطيع من خلاله مواكبة التطور العلمي لتحليل كافة النصوص الدينية والأدبية والعلمية؛ لأنه مصطلح يعتمد على ضوابط وشروط واستعمالات منهجية، وهو مرحلة متقدمة في التفسير وغايته تفسير باطن الألفاظ، وحقيقته معرفة المراد من النصوص، ويعتمد على الترجيح، ولا مجال للقطع فيه، ويتعلّق بالدراية؛ لأنه يتعلّق بالمعاني، ويكشف عن حقيقة المراد، والتأويل يؤكد غموض المعنى المراد بالتأويل، والحرص على أن يظلّ كل من التفسير والتأويل ملازمًا للآخر ومتممًا دوره في بيان المعاني الغامضة، وكشف النقاب عن المراد، وعلى الرغم من وضوح الخصائص لكلٍ من التفسير والتأويل، فأن الترادف بينهما واضح، ومن الصعب وضع معيار دقيق يحدد مواطن التفسير والتأويل، وما يعتبر من التفسير وما يعتبر من التأويل.

الكلمات المفتتاحية: الأساليب، الأنواع، التأويل، المنهج، المنهجية.

Abstract

Research title: The methodology of interpretation in the Qur’anic text

Research summary: The study aimed to demonstrate the importance of interpretation in the explanation of the Qur’anic text, and that it is the only term through which it can keep pace with scientific development to analyze all religious, literary and scientific texts; Because it is a term that depends on controls, conditions and methodological uses, and it is

an advanced stage in explanation and its goal is to explain the innermost words, and its reality is to know what is meant by the texts.it depends on weighting where there is no way to be sure about it,as it relates to knowing since it relates to meanings and reveals the reality of the intended, and the interpretation confirms the ambiguity of the meaning intended by the interpretation, and the keenness that both explanation and interpretation remain attached to the other and complete its role in clarifying the ambiguous meanings, and unveiling the intent, and despite the clarity of the characteristics of both interpretation and interpretation, the synonymy between them is clear. It is difficult to set an accurate criterion that defines the areas of explanation and interpretation, what is considered an explanation and what is considered an interpretation.

Keywords: methods, types, interpretation, methodology, method.

مقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فقد تباينت آراء العلماء حول مفهوم مصطلح (التأويل)، وذلك لتعدُّد دلالته الظاهرة والباطنة، والإفرادية والتركيبية، والمقبولة والمردودة، فلم يقتصر على البحوث القرآنية بل أخذ حيّزاً في علوم الفكر الإسلامي بصورة عامة: كالأصول والفقه والفلسفة والكلام، وغير ذلك من العلوم، وكان لهذا المصطلح مساحة واسعة في الفكر الغربي الحديث، فأَوْلَوْهُ أهميَّةً خاصةً وجعلوه مرادفاً للعلوم الباطنة، وهو ما التزم به بعض المفسِّرين الإسلاميين.

ومن هنا جاءت فكرة البحث في هذا الموضوع الذي وُسِم بعنوان:**(منهجية التأويل في النصِّ القرآني)**.

- أسباب اختيار الموضوع:

ما يتميّز به مصطلح التأويل من حركة متصاعدة لا تتوقف تجعل منه ظاهرة ثقافية متجدِّدة ومستمرّة.

- تكمن أهمية الموضوع:

في الوقوف على بيان مدى فهم الألفاظ من خلال دلالتها والربطُ بين الأشياء بعلاقة مباشرة تجعل بعضها مشابهًا لبعض، ما يجعل التأويل بين المتشابهات.

- أهداف البحث:

تحرير مفهوم دلالة التأويل بهدف الوصول إلى الحكمة؛ أي الحكم الصحيح المستنبط من الآيات، وإثراء مصطلح التأويل وتعميق دراسته، وبيان أثر التأويل في تعدُّد مناهج الطوائف المختلفة.

- إشكالية البحث:

ما مفهوم التأويل، وحكمه، وأنواعه، وكيف وظَّف العلماء دلالته؟

- المنهج المتبع:

اتَّبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفيَّ المعتمد على التحليل لاستقراء الظاهرة موضوع الدراسة.

خطة البحث:

تتكوّن من مقدمة، وثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: مفهوم المنهجية التأويلية والمنهج، وبه

المبحث الثاني: استعمالات التأويل في القرآن الكريم وأنواعه.

المبحث الثالث: شروط التأويل في القرآن الكريم وأساليبه.

الخاتمة: ويتم فيها ملخص البحث.

المبحث الأوّل: مفهوم المنهجية التأويلية والمنهج:

المطلب الأوّل: تعريف المنهجية:

على الرغم من اختلاف النصوص الشرعية وغير الشرعية وتنوّعها وتعدُّد مجالاتها، إلَّا أنها تتفق في كونها ذات بنية لغوية تابعة للفهم والتفسير، لذا فغالباً ما يلجأ إلى تأويل محتوى هذه النصوص على تنوُّع تخصصاتها، فمنهجية التأويل مصطلح يطرح رؤى جديدة، ومناهج متنوعة نظراً لكثرة المسائل التي تُثار في تأويل النصوص الشرعيَّة ولعلّ هذه الرؤى المنهجية تحتلُّ اليوم الصدارة في ميدان الأبحاث المنهجية الدينية والنفسية والإنسانية وغيرها.

لذا فمفهوم المنهجية: هو الذي يحوّل التأويل من نظرية ثابتة إلى نظرية متغيرة متحرّكة يفصل أحادية المعنى وأولويته ليفتح على إمكانيات لا حصر لها يقول- تعالى-: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُواْ الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران، الآية7).

المطلب الثاني: تعريف المنهج لغة واصطلاحًا:

المنهج من نهج، يقال: نهج فلان الأمر نهجًا؛ أي أبانه وأوضحه، ونهج الطريق: سلكه، وقيل أنهج الطريق: وَضَحَ واستبان، وصار نهجًا واضحًا بيّنًا والمنهج: الطريق الواضح المستقيم، يقول-جلَّ وعلا- ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة، الآية 48)، وفي الأثر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال:" لم يمت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى تركّكم على طريق ناهجة (فارس، 1997 ، ج 3 ، ص 33)"

وفي الاصطلاح: هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضّح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة؛ لتحقيق النتائج الإيجابية التي يصبو إليها كل منهم (الأصفهاني.، 2006، ط:1، ص383).

وبعد التعريف بمفهوم المنهجية والمنهج، نعرّف معنى التأويل في اللغة والاصطلاح: فنقول لغة بأنه:(مأخوذ من الأوْل وهو الرجوع، آل إليه أوْلاً ومآلاً رجع، وعنه ارتد، وأوّل الكلام تأويلاً وتأوله دبَّره وقدَّره وفسّره) (الفيروزآبادي، قاموس المحيط، ج2، ص331) وجاء في لسان العرب بأن التأويل: (من الأوْل وهو الرجوع، وآل الشيء يؤول أوْلاً ومآلاً: رجع، وأوّلُ الشيء رجّعه، وأَلْتُ عن الشيء ارتددتُ، وأوّل الكلام وتأوّله دبّره وقدّره، وأوّل وتأوله فسّره) (ابن منظور.، د:ط، د: ت، ج:3، ص:33__34.)

المطلب الثالث: التأويل في الاصطلاح:

وضع علماء السلف لعلم التأويل تعاريف من أبرزها:

1- تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أم خالفه، من ذلك قول الله تعالى: ﴿...وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾ (يوسف، الآية 6)، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين.

2- هو المراد بالكلام نفسه، فإن كان الكلام طلبا فتأويله الفعل المطلوب نفسه، وإن كان خبراً كان تأويله الشيء المخبَر به نفسه، وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر، فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العِلْمِ والكلام، كالتفسير والشرح والإيضاح، نحو قوله-عز وجل-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ (الأعراف، الآية 53). وجاء في الحديث عن معنى التأويل:(من صام الدهر فلا صام ولا آل، أي ولا رجع إلى خير) (أحمد بن حنبل، المسند، فضائل الصحابة، رقم الجديث،1560.)

وعلى هذا يكون التأويل مأخوذ من الأوْل، بمعنى الرجوع والردّ من ذلك قول الله-تعالى-

﴿...فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اءَلاْخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء، الآية:58)، إنما هو اعتبار أحد معانيه اللغوية فكأنَّ المؤوِّل أرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني، وهو الردُّ إلى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلّم– بعد وفاته (الذهبي، التفسير والمفسرون، 2000، ج1، ص20.). قال عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– "ما أخاف على الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا فاسقٍ بيّنٍ فِسْقُهُ، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتّى هذه أَذْلَقَهُ بلسانه، ثمّ تأوله على غير تأويله" (الزرقاني،، د: ط، د:ت، ج2، ص64.)

وأما المتأخرون فقد قصدوا بالتأويل: بأنه المعنى المخالف لظاهر الآية، ويقصد منه أن يعمد إلى صرف المعنى الراجح من اللفظ والظاهر فيه إلى مرجوح، بسبب وجود دليل يقترن به وتعتمد هذه النظرية على توفر أمرين:

الأوّل: أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى الذي سوف يحمل عليه، ولا يكون بعيدا عنه.

الآخر: وجود الدليل أو القرينة المساعدة على حمل اللفظ على ذلك المعنى من دون فرق بين كونها قرينة داخلية، أو خارجية، حافة بالكلام، توجب هذا الحمل، ووفقا لهذه النظرية سوف يكون للفظ حقيقة ثانية غير الحقيقة الأولى التي كانت له، فبعد ما كان لفظ (اليد) يستعمل في كفّ الإنسان مثلاً، أصبحت تستعمل في القوة والقدرة، وبعدما كان الاستواء يستعمل في معنى الجلوس، أصبح يستعمل في البسط والهيمنة (شبكة،، 2002.)

يتضح من التعريفين السابقين أن السلف كانوا يستعملون التأويل في إطاره اللغوي وهو:

الكشف عن معنى اللفظ أو حمله على معنى من المعاني إن كان يحتمل أكثر من معنى، قال قتادة– رضي الله عنه–: "سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلّم– عن معنى قول الله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك، الآية 2)، فقال: أيكم أحسن عقلاً، ثم قال: عليه- الصلاة والسلام- أتمُّكم عقلاً أشدُّكم لله خوفًا، وأحسنكم في ما أمر الله به ونهى عنه نظرًا (الجديلي، 1965، د:ط، ص: 23,). وإن المتأخرين قصدوا بالتأويل صرف المعنى الراجح من اللفظ والظاهر فيه إلى معنى مرجوح بسبب وجود دليل يقترن به، ولا يكون بعيداً عنه، ففي الآية السابقة؛ قال الطبري:" والتأويل في هذه الآية: ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع" (الطبري،، 2002، ط:1، ص335). وقد جرت عادة المفسّرين بالخوض في بيان معنى التفسير، وجماع القول في ذلك أن من العلماء من جعلهما متساويين، ومنهم من جعل التفسير للمعنى الظاهر والتأويل للمتشابه، ومنهم من قال: التأويل صرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر محتمل لدليل، فيكون هنا بالمعنى الأصولي، فإذا فُسِّرَ قول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ...﴾ (الروم، الآية 18). بإخراج الطير من البيضة فهو التفسير، أو بإخراج المسلم من الكافر فهو التأويل؛ وبمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...﴾ (يوسف، الآية 100): وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله- سبحانه-: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ...﴾ (يوسف، الآية 36): أي بتفسيره.

فالتأويل مصدر أوّله إذا أرجعه إلى الغاية المقصودة، والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه، وما أراده منه المتكلّم به من المعاني، فساوى التفسير على أن لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى خفيّ معقول، وفي قوله- تعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ (الأعراف، الآية 52). أي ينتظرون إلا بيانه الذي هو المراد منه، ويقول النبي -عليه الصلاة والسلام- في دعائه: لابن عباس -رضي الله عنهما- الذي سماه ترجمان القرآن، (اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل) (حنبل، رقم الحديث: 1856.) أي فهم معاني القرآن (ابن عاشور،، د:ط، 1984 ج:1، ص: 16.).

ومن هنا نرى أن مصطلح التأويل في القرآن الكريم يَتّخِذُ دلالةً تستمدّ أصلها في اللغة من معنى الرجوع والعاقبة، وتتشعب داخل أنواع سياق النصوص القرآنية، لتشمل معاني جزئية تؤول إلى معنى التحقيق والمآل، وأن أهمّ ما يُمَيّزه كونه حركة متصاعدة لا تتوقف؛ لأنه يتبوّأ موقفًا بين المفاهيم الدالة على فهم النص الذي لا يعيش إلا في ظلّ التأويل، هذا فضلاً عن بُعْدِهِ العلمي المتجلّي في جانبي التعبير والتفسير، حسبما ما تَدُلُّ عليه بعض الاستعمالات الأخرى على مستوى علاقات المصطلح مع غيره من المصطلحات. (الخالدي، د:ط 1999، ص:20.).

المبحث الثاني: استعمالات التأويل في القرآن الكريم وأنواعه:

المطلب الأول: استعمالات التأويل:

فقد وردَ لفظ (التأويل) في القرآن سبعة عشر مرّة، هي في السور الآتية: – آل عمران، النساء، الأعراف، يونس، يوسف، الكهف– دالًّا على العديد من الاستعمالات، أهمُّها:

1. التفسير والتعيين يقول– تعالى–: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ...﴾ (آل عمران، الآية 7).
2. العاقبة والمصير يقول– سبحانه– ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ اءَلاْخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء، الآية 59).
3. وقوع المخبَر به يقول– عز وجل–: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (يونس، الآية 39).
4. الدلالة على الرؤيا: يقول– سبحانه–: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف، الآية 37).

5. تأويل الأعمال، كالتي قام بها العبد الصالح (الخضر عليه السلام) من غرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار يقول- تعالى-: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف، الآية 81). فتأويل ما جرى من العبد الصالح مع نبي الله موسى-عليه السلام- كان من خلال إرجاعه إلى حقيقته ببيان الأسباب التي دعته إلى القيام بما قام به من الأعمال. (الذهبي، التفسير والمفسرون، 2005 د: ط، ج:1، ص20.)

6. تأويل أمور غيبية استأثر بها علاّم الغيوب- جلّ وعلا- إلى حينها، مثل: خروج الدابة، وياجوج وماجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وكل ما يتعلّق باليوم الآخر وما فيه، فلم ينف المولى- عزّ وجلّ- أنّ لها تأويلاً، بل قال:-سبحانه- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ...﴾ (الأعراف، الآية 52)، وهذا التأويل آت لا محالة، وهذا النوع من المتشابه الذي يستشهد به مبتغو الفتنة وطالبوا بتأويله فردّ عليهم بذلك – سبحانه-: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ (أحمد عمر أبوحجر، 2000،ط:2، ص15.).

يتضح من هذه الاستعمالات أن التأويل عند السلف هو التفسير؛ لأنّ قولهم: تأويل هذه الآية كذا، أي تفسيرها، كما كان يطلق عندهم على نفس المراد بالكلام، فتأويل الأمر هو نفس فعل المأمور، وتأويل النهي هو ترك المنهي، وتأويل الخبر هو وقوعه كما أخبر عنه. (المعلومات، 2007.)

المطلب الثاني أنواع التأويل:

يستند التأويل إلى أنواع يشترط فيها أن تكون راجحة على ظهور اللفظ في المعاني الذي تحتمله، إلا أن هذه الاحتمالات تقرب تارة وتبعد تارة أخرى، فقد تكون الاحتمالات بعيدة جدًّا فتحتاج إلى دليل في غاية القوة، وقد تكون قريبة فيكتفي بأدنى دليل، وقد تتوسّط بين الدرجتين، فتحتاج إلى دليل متوسط، وقد يكون فاسدا لا يستند إلى دليل، ومن أبرزها:

النوع الأوّل التأويل الصحيح: وهو الذي استوفى شروط التأويل: وهو نوعان:

- التأويل القريب:

وهو ما يحتمله اللفظ احتمالاً يعرف بقليل من التأويل اعتمادًا على دليل، ولا يتطلب نظراً عميقًا ولا دليلاً قويًّا ليترجح على المعنى الظاهر المستفاد من الألفاظ، بل يكفي فيه الدليل القريب، يقول- عزّ وجلّ- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ...﴾ (المائدة، الآية 7).

فالقيام إلى الصلاة في هذه الآية مصروف عن معناه الظاهر إلى معنى قريب محتمل، وهو العزم على أداء الصلاة، والذي رجح هذا الاحتمال أن الشارع لا يطلب الوضوء من المكلفين إلا بعد الشروع في الصلاة، إذ الوضوء شرط لصحتها، والشرط يوجد قبل المشروط لا بعده، وهو معنى قريب يتبادر فهمه بمجرد قراءة الآية أو سماعها (الغزالي، 1986،ج1، ص352-355). وفي حديث عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- قالت:" كان رسول الله-صلى الله عليه وسلّم- يقول في ركوعه: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي) يتأوّل القرآن" أي يعمل بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ...﴾ (النصر، الآية4) (البخاري)؛ فلذلك جمع في دعائه التسبيح والحمد، وذِكْرُ لَفْظِ الرب وطلب المغفرة، فقولها: (يتأوّل) صريح في أنه فسّر الآية على ظاهرها، وعلى ما تشير إليه من انتهاء مدّة الرسالة وقرب انتقاله- صلى الله عليه وسلّم- الذي فهمه منها عمر بن الخطاب وابن عباس- رضي الله عنهم- (ابن عاشور، د: ط، 1984، ج2، ص: 16) ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر، الآية1) قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: ما تقولون في هذه الآية؟ فأوّلها بعضهم على أن الله تعالى أمرهم أن يحمدوه ويستغفروه إذا نصرهم وفتح عليهم، وسكت بعضهم ولم يقل شيئًا، فقال عمر لابن عباس -رضي الله عنهم- أكذلك تقول؟ فقال: لا؛ بل أجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعلمه الله

له؛ قال: إذا جاء نصر الله والفتح، فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر، الآية4)، فأوّل ابن عباس النص تأويلاً بعيدًا حسب السياق. (الذهبي، بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة، 2005، ص392)

النوع الثاني التأويل البعيد:

وهو ما كان بعيد الفهم ولا يترجّح إلا بمرجح قوي يجبر بعده، ويعضده الاحتمال، من ذلك قوله-تعالى-: ﴿...فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا...﴾ (المجادلة، الآية4)، أي إطعام طعام ستين مسكينا؛ لأن المقصود دفع الحاجة، وحاجة ستين كحاجة واحد في ستين يومًا فجعل المعدوم مذكورًا، والمذكور معدوم مع إمكان قصده (المقبلي،، 2009. ط:1، ص458،--459.). وإن كان بعيداً افتقر إلى دليل قوي يجبر بعده، حتى يكون ركوب ذلك الاحتمال البعيد أغلب على الظن من مخالفة ذلك الدليل، من ذلك قول الله -سبحانه-: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ (الأنفال، الآية41)، وهو تأويل بعيدٌ جدًّا. (حسن. ص.، 2009، ط:1، ص458-459.)

النوع الثالث التأويل المتوسط:

وهو أن الاحتمال بين درجتين؛ القرب والبعد فيه، ويحتاج إلى دليل متوسط، يقول -عزّ وجلّ-﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء، الآية 5). فظاهر الآية يدل على وجوب طاعة الأمير مطلقًا من كل قيد، بحيث تكون الطاعة واجبة أيًّا كان الشيء المأمور به، والمراد بالطاعة ما كان من الأمور المعروفة في الشرع، لا المعروفة في العقل أو العادة؛ لأن الحقائق الشرعية مقدمة على غيرها (حسن. ص.، 2009، ط:1، ص:459،).

ومن جهةٍ أخرى حمل اللفظ على ما يحتمله من مقتضى لغة العرب، واستقراء الوجوه الممكنة فيه، وهذا هو التأويل المسوغ لأهل العلم في كل وقت وزمان، ثمّ إن هذا المتأول إن وجد وراء اللفظ دليلاً يقفه على بعض الوجوه التي احتملها اللفظ من أمر سنة، أو حجة إجماع، أو قضاء عقل، صار إلى ما يوجبه الدليل، وقطع على أنه الوجه المراد من الآية دون غيره، وإن لم يجد دليلاً موجبًا لأحد الوجوه اعتبر الوجوه التي احتملها اللفظ على وجه الإمكان من غير قطع على شيء يغيب حكمه (الجزائري، 1370،و، ر)

النوع الرابع التأويل المنهي عنه:

هو التأويل بظاهر العربية، ومن غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن الكريم، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير؛ فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسّر القرآن بالرأي المذموم، ألا ترى الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً...﴾ (الإسراء، الآية 59). فمعنى الآية؛ أنه دليل على صدق نبوة صالح –عليه السلام–، والناظر إلى ظاهر اللغة يظن أن الناقة غير عمياء (الحفناوي أ.، 2002،مج:1،ص:35.). وسمّاه الزركشي بالمستكره حيث قال: وأما المستكره فما يستبشع إذا عُرض على الحجة، وهو على عدّة أوجه أبرزها: **الأول**: أن يكون لفظاً عامًّا فيختص ببعض ما يدخل تحته، من قوله تعالى: ﴿...وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِين...﴾ (التحريم، الآية 4). فحمله بعضهم على الإمام علي –رضي الله تعالى عنه– فقط.

الثاني: أن يلفق بين اثنين، كمن زعم أن جميع المخلوقات مكلفة مثل الإنسان، وذلك في قول– البارئ سبحانه–" ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر، الآية 24)، مع قوله– ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلاَ طَآئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (الأنعام، الآية 39).

الثالث: حمله على حقيقته كقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ (القلم، الآية 42). عن شدة الأمر يوم القيامة، فاستعير كشف الساق فيه للدلالة على الشدّة.

الرابع: ما أشعر باشتقاق بعيد كما قال بعض الباطنية في البقرة: إنه إنسان يبقر عن أسرار العلوم، وفي الهدهد، إنه إنسان موصوف بجودة البحث والتنقيب (الدولية، وين لاين، 2006،)

الخامس: التأويل الذي لا دليل عليه من سياق أو قرينة، ويخالف مقصد المتكلم من كلامه، من قوله- تعالى-:﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(المائدة، الآية 95) أوَّلَ قُدامة- رضي الله عنه- هذه الآيات عندما شرب الخمر في عهد عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- دون أن ينظر إلى سبب نزولها؛ وقال: أنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات واتقوا وأحسنوا وشهدوا بدرًا وأُحدًا والخندق، فقال عمر: أخطأت التأويل... فردّ عليه ابن عباس: إن هذه الآيات أُنزلت عُذرًا للماضين، وحُجَّةً للباقين؛ لأن الله -تعالى- يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ والْأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (العربي، ط:1، 2002، ج2، ص: 146.).

السادس: التأويل الذي يأتي مناقضًا للأحكام المعلومة من الدين بالضرورة، ولنصوصه القطعية على وجه الخصوص، كما جاء في قول الله-سبحانه- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن، الآية 17) فقد (أُوّلَ) هذا النص القرآني فرقة من الروافض؛ بأن البحرين هما: علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء- رضي الله عنهما- ﴿يُخْرَجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن، الآية 20) هما الحسن والحسين- رضي الله عنهما- (الدولية، إسلام وين لاين، 2005.)

يتضح مما سبق أن الدليل هو المعيار الذي يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم والأدلة

كلها ليست على مرتبة واحدة، أو وزن واحد، بل يتراوح الدليل فيها بين الضعف والقوة، مما يترتب عليه الحكم بقرب التأويل وصحته، أو الحكم ببُعْدِهِ، أو ردّه وعدم القبول به.

المبحث الثالث شروط التأويل وأساليبه:

المطلب الأول شروط التأويل:

على الرغم من وجود تطورات لحقت بهذا المصطلح فإن شروطه ليست واحدة عند جميع الباحثين، وإنما اختلفت باختلاف متطلباتهم الدينية والثقافية والسياسية وغيرها من العوامل التي بنيت عليها الأساليب التأويلية، وهذه الاختلافات لم تكن مانعة من وجود شروط مشتركة بين البعض منهم، ومن أبرز هذه الشروط:

1- أن يكون التأويل موافقًا لوضع اللغة، من ذلك قوله- تبارك وتعالى- ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ (النحل، الآية47)، سأل عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- وهو فوق المنبر عن معنى التخوُّفُ، فقال رجل من هُذَيْل هذه لغتنا، التخوّف: التنقُّص، فقال عمر: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فقال الرجل: نعم، ثم أنشد قول الشاعر:

تخوَّف الرجل منها تامكًا قردًا كما تخوّفَ عود النبعة السفن.

فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم. (البيضاوي، ج:3، ص: 182،)

2- عرف الاستعمال: نحو قول الله-تعالى- ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف، الآية88) أو عادة صاحب الشرع، وكل تأويل خرج عن هذا الشرط فليس بصحيح.

3- أن يقوم الدليل على أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حُمِلَ عليه إذا كان لا يستعمل فيه.

من ذلك قوله- عز وجلّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (فاطر، الآية1)، قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها يعني ابتدأتها. (السيوطي،، ط:1، 2006، ج:1، 115.)

4- إذا كان التأويل بالقياس فلابد أن يكون جليًّا لا خفيًّا، أو مما يجوز به التخصيص، وقيل لا يجوز التأويل بالقياس أصلاً (الزركشي ب.، د:ط 2006ص:417)

المطلب الثاني: الأساليب التأويلية في القرآن الكريم:

تعد الأساليب التأويلية من أهمّ المباحث التطبيقية التي تهتمّ بسياق الكلام والكشف عن مراد معناه، لتبيين الحكم والحكمة من الخطاب الموجه للمتلقي، حتى يفهمه فهمًا جيّدًا، فلجأ علماء التأويل إلى هذه الأساليب لاستنباط الأحكام واستنتاج الحكم، اجتهادًا منهم في إيجاد الرأي الراجح في فهم ما غمَّ واستعصى فهمه من هذه النصوص، فنجد مصطلح التأويل هو أوّل المصطلحات التي لجأ إليها هؤلاء العلماء في فهم معنى النصّ وفق ضوابط أوجدتها اللغة العربية.

وقد جاء أسلوب القرآن الكريم في الغاية العظمى من البلاغة والفصاحة والبيان، وخرج عن جميع وجوه النظم المتعارف عليها في كلام العرب، وجاءت كلماته وحروفه في نسيجها وسياقاتها مجيئاً له دلالته من حيث اختيار اللفظ وصلته بغيره من الكلمات وهيئته المختارة، ومن هذه الأساليب:

الأسلوب الإنشائي غير الطلبي:

الذي جاء في القرآن الكريم مخالفًا للأساليب المعهودة عند العرب، ومن صور هذا الأسلوب افتتاح بعض سوره بحروف مقطعة، وهذا الأسلوب لم تعرفه العرب قبل، ويعد مدخلاً بليغًا إلى موضوعاتها

المختلفة، وهذا الأسلوب ينقسم إلى نوعين هي الإنشاء غير الطلبي ويسمى الخبري؛ وله أربعة أنواع هي:

1. **القسم:** يُعَدُّ دون جوابه من الأساليب الإنشائية، وهو ما يرشد العقول إلى أهمية المقسم عليه، ويؤدي إلى التشويق إلى ما يأتي بعده، حيث جاء في أوائل بعض السور القرآنية مناسبًا لما أقسم عليه المولى- سبحانه- بقوله: ﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (البروج، الآية:1- 3). على اختلاف تأويلاته، قريبة من مناسبة القسم باليوم الموعود. (عاشور، ينظر تفسير التحرير والتنوير، د:ط، 1984 ج 3، ص237.)
2. **المدح والذم:** في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ...﴾ (الحجرات، الآية11)
3. **الترجي:** من قوله-سبحانه-: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَّكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ (النساء، الآية83).
4. **التعجب:** يقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة، الآية27).

الثاني: الأسلوب الإنشائي الطلبي:

ويوجد في خمسة أنواع: هي الأمر، والنهي، والاستفهام والنداء، والتمني.

أولاً الأمر: وحقيقته طلب الجهة العليا للفعل من جهة سفلى، ومعاينة مجازية؛ مثل الدعاء والتعجيز والإهانة والإرشاد، فكتابة الدَّين ليست أمرًا واجبًا، وإنما هي إرشاد من الله- تعالى- لعباده، والإباحة والتسوية والإكرام والامتنان والتهديد والتحقير والتفكر والاعتبار والخلق والتخيير والتعجب، وجاء في بعض مطالع السور كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ (المائدة، الآية:1). إذا كان في معرض التكليف، فيكون النداء خاصًّا بالمؤمنين لفتًا لهم وإثارة لإيمانهم وتعظيمًا لشأنهم، وذلك في قوله: ﴿يَأَيُّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة، الآية:1). فجاء النداء بإثارة حمية الإيمان في نفوسهم أولاً، ثم جاء الأمر بالوفاء بالعقود، وهو أسلوب إنشائي. (الحفناوي ب.، 2006، د:ط، ص178.)

ثانيًا النهي: منه قوله- تعالى-:﴿فلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ...﴾ (الإسراء، الآية 23)، ويحمل معاني مجازية؛ أشهرها: التبيين، والدوام، وبيان العاقبة، وإن لم يفد طلبًا بالوضع؛ فإن لم يحتمل الصدق والكذب(في غير النص القرآني) سمّي تنبيهًا؛ لأنك نبَّهت به على مقصودك وأنشأته أيّ: ابتكرته من غير أن يكون موجودًا في الخارج؛ سواءً أفاد طلبًا باللازم، كالتمني والترجي والنداء والقسم أم لا، نحو قوله-عز وجلّ-:﴿...كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا...﴾ (الأعراف، الآية 187)، وإن احتملهما من حيث هو فهو الخبر، وبمعنى النهي نحو قوله-تعالى-: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة، الآية 79). (السيوطي، 2006، ج3، ص184-185،)

ثالثًا النداء: هو من جملة الأساليب الإنشائية، ينشأ بفعل المتكلم، حيث يُعبِّر به عمّا في نفسه، وهو يتردد كثيرًا في القرآن الكريم، مع اختلاف أطرافه ما بين نداء الخالق-جلّ وعلاَ- لجميع المخلوقات، وتنوع مقاصده وأغراضه وسياقاته ومواقفه، وقد ورد ذكر لفظ الدعاء والنداء في القرآن الكريم بقوله- جلّ ثناؤه-: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة، الآية 171). وقوله-سبحانه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ (مريم، الآية 3).

وهو نوع من الخطاب له حروفه الخاصة التي تميّزه عن غيره من الحروف اللغوية الأخرى، فهو يُنْطَق بامتداد الصوت ليفصح ما في النفس من أسرار، ويجلب الانتباه حيث الأداة في كثيرٍ من الأحيان كأنها صيحة واحدة، (زدام، 2019، ص 9-10،)، وتنوعت أغراضه البلاغية في القرآن الكريم وتباينت دلالاته حسب وروده في سياق كل آية، وهي دلالات تحكمها تفسيرات وتأويلات، حيث جاءت موزعة

في السور المكية والمدنية على نوعين؛ الأول:(يا) حيث وردت (361) مرة، الثاني: (أيها) ووردت (143) مرة، وكلها وردت بصيغة المذكر، إلا في موضع واحدٍ بصيغة المؤنث؛ وهي قول الله–عزّ وجلّ: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ...﴾ (الفجر، الآية 27). وهو الوسيلة الوحيدة التي خاطب الله– تعالى– بها عباده، ويتخاطب بها البشر فيما بينهم، وذلك لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من البلاغة. ويكون النداء للبعيد حقيقة أو حكمًا كما في– قوله–: ﴿وَنَادَيْنَهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَهُ نَجِيًّا﴾ (مريم، الآية 52). والنداء مخاطبة الأبعد، والمناجاة مخاطبة الأقرب، ويستعمل في غير معناه مجازًا في مواضع أبرزها:

الأول: الإغراء والتحذير، وقد اجتمعا في قول الله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ (الشمس، الآية 13).

الثاني: الاختصاص، وهو كالنداء إلا أنه لا حرف فيه.

الثالث: التنبيه، وهو حرف النداء يختص بالأسماء، نحو قوله–سبحانه– ﴿يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ (مريم، الآية23). (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 514,)

رابعًا التمني: هو حقيقة لا يصح فيه الكذب، وإنما يرد الكذب في التمني الذي يترجح وقوعه عند صاحبه، فهو وارد على ذلك الاعتقاد الذي هو ظنَّ، وهو خبر صحيح نحو قوله–سبحانه–﴿...إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (العنكبوت، الآية11). إن ما تمنوا ليس بواقع؛ لأنه ورد في معرض الذم لهم، وليس في ذلك المعنى ذم، بل التكذيب ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وأنهم يؤمنون (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2006، ص513). يقول–تعالى–: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ (الأعراف، الآية 53).

خامسًا الاستفهام: حيث جاء في مطلع ست سور من القرآن؛ وهو على عدّة وجوه منها:

1– ما يحمل غرض التقرير، وهو ما جاء بصيغة (هل) نحو قوله–سبحانه–: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ

حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان، الآية1). هذه الصيغة تدلّ على التحقيق، إذ هي بمعنى قد، وجاء بعدها في سورتي النازعات والغاشية، بتحقيق الفعل الماضي.

2- في مقام التوبيخ والتعجب؛ بـ(ألم تر) لاستحضار المشهد وكأنه رأي العين، مثل قوله- جلّ جلاله-:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (الفيل، الآية 1-2).

3- يأتي في معرض الإنكار على الكفرين وتوبيخهم، نحو قوله- سبحانه -: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾ (فاطر، الآية:3).

4- في معرض حدث غيبي مهم كما في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُاْ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ الْمِحْرَابَ﴾ (ص، الآية 20)؛ ولأهمية الحدث عبّرَ بالنبأ دون الخبر. (محمد، 2006، ص17--18،)

5- الجملة الخبرية: تحمل صفة الثبات والاستقرار في الأمر الذي تخبر عنه، في حين أن الجملة الفعلية تفيد الحركة والاستمرار، ويستعمل القرآن الكريم غالباً الجملة الخبرية للإخبار عن حدثٍ ما كقوله: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (فصلت، الآية 15)، أو ليقرر حقيقة كونية كقوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن، الآية 5).

ويعبّرُ أحيانًا عن الجملة الفعلية بالجملة الخبرية، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة، الآية 233)، فجملة: (الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ) جملة خبرية لكن معناها الطلب، والمعنى: أن المطلقات اللائي لهن أولاد من أزواجهن يرضعن أولادهن، والتعبير عن الجملة الطلبية بصيغة الخبرية إشارة إلى أن الإجابة أمر فطري طبيعي، وأنه كان الطلب وكانت الإجابة، فعبر بما هو دال على الإجابة، ويعكس أحيانًا فيعبر عن الخبرية بالجملة الفعلية، كل

ذلك لفائدة يريد تقريرها، أو لتأكيد معنى يريد التنبيه، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة، الآية 228). جملة خبرية بمعنى الأمر، والمعنى: أن على المطلقة أن تنتظر ثلاثة قروء قبل أن تتعرض للخطبة والزواج، والعدول عن الجملة الخبرية إلى الاسمية للتأكيد (ويب.، 2017)

فالتأويل ليس من قبيل المعاني المرادة باللفظ، بل هو الأمر الذي يعتمد عليه الكلام؛ لأن الكلام الصادر من المتكلّم لا يخرج عن أمرين:

أحدهما: إمّا أن يكون الكلام الصادر منه كلامًا خبريًّا؛ بمعنى يصحّ أن يوصف بالصدق أو الكذب (في غير القرآن الكريم).

الآخر: أن يكون الكلام إنشائيًا؛ فلا يوصف بكونه صادقًا أو كاذبًا (في غير النصّ القرآني)، فإذا كان الكلام الصادر كلامًا خبريًّا، فإنه ينقسم إلى قسمين:

الأوّل: أن يكون الإخبار عن الحوادث السابقة؛ كالآيات التي تضمنت أخبار الأنبياء–عليهم الصلاة والسلام– والأمم الماضية، فإن تأويله يكون الواقعة نفسها في ظرف الزمان.

الآخر: أن يكون الإخبار عن الحوادث والأمور الحالية والمستقبلية؛ وهذا يكون على نوعين:

النوع الأوّل: أن يكون مما تناله الحواس البشرية، ويدركه العقل البشري؛ كالقضايا العادية المألوفة التي تكون في حياة البشر، فإن تأويله يكون بتحقيق القضية في الخارج، نحو قوله– سبحانه–: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ (الروم، الآية1)، فإن هذا إخبار عن أمر مستقبلي سيقع في المستقبل، وهو تحقق الانتصار للروم، وهو من الأمور التي يدركها العقل البشري، وتحيط بها الحواس البشرية.

النوع الآخر: أن يكون من الأمور التي لا تنالها الحواس البشرية، ولا يدركها عقل إنسان، كما لو كان الإخبار عن يوم القيامة، وما فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإن الحواس البشرية لا يمكنها أن تحيط بشيء مما سيكون في ذلك اليوم. (شركة، 2005.)

وإذا كان القرآن الكريم قد استخدم أساليب اللغة العربية وألفاظها وتراكيبها؛ إلا أنه اختلف عنها من عدّة وجوه أهمها:

1- سمو وتعدد مقاصده.

2- وفرة وجدّة معانيه.

3- قوة تأثيره في النفس البشرية.

4- جمع شتات لغة العرب ولهجاتها، واشتماله على المعرب من الألفاظ.

5- انفراده بحروف فواتح السور، وهو أسلوب لم تعرفه العرب من قبل.

6- تجدّده: أي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الردّ.

7- انفراده بنظام الآيات والسور والفواصل. (سالم، 1984، ط:1،ص57.)

إن الوقوف على هذه الأساليب الإنشائية القرآنية، ومعرفة المقصود منها في غاية الأهمية؛ لما فيها من عون سواء للقارئ أم للمفسّر على فهم المقصود من الآيات؛ وبالتالي فلا ينبغي أن يُغْفَلَ عن هذه الأساليب أو يتغافل عنها؛ لأن ذلك يؤدّي إلى قصور واختلال في فهم المراد من كتاب الله- تبارك وتعالى-.

الخاتمة:

تتلخص خاتمة البحث في أهم النتائج الآتية:

1- إنَّ مفهوم التأويل هو الرجوع والعاقبة، وتتشعب داخله مختلف أنواع سياق النصوص القرآنية، ويتخذ في القرآن الكريم دلالةً تستمد أصلها في اللغة العربية من معان جزئية تؤول إلى معنى الردُّ والتحقيق.

2- يرى المتقدّمون أن معنى التأويل هو: الرجوع والردّ باعتبار أحد معانيه اللغوية فكأنّ المؤول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من المعاني، في حين يرى المتأخّرون أن المقصود من التأويل هو صرف المعنى الراجح من اللفظ والظاهر فيه إلى معنى مرجوح، بسبب وجود دليل يقترن به.

3- إن مفهوم التأويل هو عملية أحداث ملائمة بين المدلول اللغوي وبين معطيات أخرى قد تكون عقلية، أو دينية، أو لغوية أو غير ذلك من المعطيات.

4- إن التأويل ليس من المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ؛ بل هو من قبيل الأمور الحقيقية الواقعية، التي تستند إليها البيانات القرآنية، وإنما المولى-تبارك وتعالى- يقيد الألفاظ لتقريبها للأذهان، فهي كأمثال تضرب ليُقَرِّبَ بها المقاصد.

5- إن أهمّ ما يميّز مصطلح التأويل في القرآن الكريم كونه مصطلحًا قليل الورود محدود الأبعاد، لكنه مع ذلك يتبوّأ مكانةً بين المفاهيم الدالة على تجلّيات البعد العقدي للإسلام، فضلا عن بعده العلمي المتجلي في جانبي التعبير والتفسير حسب ما تدلّ عليه بعض الاستعمالات الأخرى، على مستوى علاقات المصطلح مع غيره من المصطلحات.

6- إن علم التأويل يطرح رؤىً جديدة، ومناهج متنوعة نظرًا لكثرة المسائل التي تثار في تأويل النصوص الإسلامية، ولعلّ هذه الرؤى تحتل اليوم الصدارة في ميادين الأبحاث الدينية والنفسية والإنسانية وغيرها، فهي تتفق في كونها ذات بنية لغوية تابعة للفهم والتأويل؛ لذا فغالبًا ما يلجأ

تأويل محتوى هذه النصوص على تنوّع تخصُّصاتها.

7- تتميّز الحضارة الإسلامية بكثرة المناهج في التأويل، وتعدد الاجتهادات واختلاف الآراء، فكان هذا التميّز دليلًا على معاني التسامح وقبول الاختلاف والحوار الهادف، والفكر المنظم والاجتهاد.

8- إن التأويل عملية معقّدة لمزجها بين جميع المعارف الإنسانية، وتعلّقها بالعمليات الإدراكية كالقدرة على الربط بين الدلالات، ومنه إلى القدرة على إدراك الفهم الذي هو المقصود.

9- لا ينحصر التأويل في خصوص الآيات المحكمة فحسب؛ بل إنه يجري في جميع القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

1. ابن منظور. لسان العرب. (د: ط). بيروت، لبنان: دار صادر.
2. أبوحجر، أحمد عمر. (2000)، التفسير العلمي في الميزان. (ط:2). بيروت، لبنان: دار المدار الإسلامي.
3. إسلام ويب. (2017). شبكة المعلومات الدول.
4. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (2006، ط:1، ص383). المفردات في غريب القرآن. دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت، لبنان.
5. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري.
6. بن العربي، محمد بن عبد الله. 2002م، أحكام القرآن، (ط:1). القاهرة، مصر.: شركة القدس للتصدير.
7. بن حنبل، أحمد. المسند، فضائل الصحابة. المكتبة الشاملة.
8. بن عاشور، محمد الطاهر. (د: ط، 1984). ينظر تفسير التحرير والتنوير. تونس.: الدار التونسية للنشر.
9. بن فارس. أحمد، (1997). مقاييس اللغة.
10. البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (ج:3). بيروت، لبنان.: دار الكتب العربي.
11. الجديلي، محمد عبد الرحمن. (1965)، نظرات حديثية في التفسير، (د: ط). بيروت، لبنان.: دار الآفاق.
12. الجزائري، محمد عبد الكريم. (1370 و، ر). مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير. طرابلس، ليبيا: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
13. الخازمي، الصادق محمد سالم. (1984). ينظر النظم القرآني وأثره في الأحكام. (ط 1) طرابلس، ليبيا: المنشأة الوطنية للنشر.
14. الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (1999م). التفسير والتأويل في القرآن، (د: ط)، عمان.: دار النفائس.
15. الذهبي. محمد حسين، (2000م). التفسير والمفسرون. القاهرة، مصر: مكتبة وهبة.
16. الذهبي. محمد حسين، (2005م)، (د: ط). التفسير والمفسرون. القاهرة، مصر.: دار الحديث.
17. الذهبي، محمد حسين. (2005م). بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة. القاهرة، مصر، دار الحديث.
18. زدام. سعاد، (2019). الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم (النداء أنموذجًا). الجزائر: جامعة وهران.
19. الزرقاني، محمد عبد العظيم. تح: هاني الحاج، (د: ط، د: ت) مناهل العرفان في علوم القرآن. القاهرة، مصر: المكتبة التوفيقية.
20. الزركشي. بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد الحفناوي. (د: ط) (2006) تح: أبي الفضل الدمياطي. القاهرة، مصر: دار الحديث.
21. سيبويه. (1212). الكتاب. ليبيا: النشر والتوزيع.
22. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، 2006، الإتقان في علوم القرآن، (ط:1)، ينظر: تح: عبد الرحمن فهي الزواوي. المنصورة، القاهرة.: دار الجيل الغد.
23. شبكة المعلومات الدولية. (2002.). قوقل. ملتقى أهل التفسير.
24. شبكة المعلومات الدولية. (2005.). إسلام وين لاين. الإنترنت.
25. شبكة المعلومات الدولية. (2005.). ملتقى أهل التفسير. ويب.
26. شبكة المعلومات الدولية. (2007.). قوقل. ملتقى أهل التفسير: الإنترنت.
27. الطبري، محمد بن جرير، (2002)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تح: بشّار عوّاد معروف، ط:1. مؤسسة الرسالة.
28. عبد السميع، عماد علي، (2006). التسهيل في علوم أصول واتجاهات التفسير. الإسكندرية، مصر. دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.
29. الفيروزآبادي. (1990). القاموس المحيط.
30. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (2002م). الجامع لأحكام القرآن. تح: محمد إبراهيم الحفناوي. القاهرة: مصر: دار الحديث.
31. المقبلي، صالح بن المهدي، (2009)، نجاح الطالب لمختصر بن الحاجب. تح: أبو مصعب محمد بن حسن. ط:1، المنصورة، مصر.: دار البدر للنشر والتوزيع والترجمة.
32. موسى السيد محمد. (2006م). الإعجاز البلاغي للقرآن دارسة وتطبيق. المنصورة.: مصر.